سـقراط ·· مربيـا

دكتور/عبد المجيد عبد التواب شيحة (*)

أولا : المشكلة السقراطية :

تتمثل احدى المشكلات الجوهرية للكتابة عن سقراط فى كيفية التعامل مع المصادر المتاحة ، التى تعرفنا بشخصيته وتعاليمه الفلسفية ؛ لأن تلك المصادر مختلفة ومتعارضة ومتضاربة ، فهناك الأعمال السقراطية لزينوفون Xenophon (١) ، والمحاورات السـقراطية لأفلاطون(٢) ، وكتابات أرسطو طاليس (٣) ، وملهات السحب لأرسطوفاليس Aristophanes (٤) · فاذا اعتمدنا على رواية زينوفون وحده كونا صورة عن سـقراط باعتباره معلما شعبيا للاخلاق ، هدفه الأساسى جعل الناس فاضـلين أو مواطنين صالحين · واذا اعتمدنا على محاورات أفلاطون وجـدنا سقراط فيلسوفا ميتافيزيقيا يضع فلسفة متعالية قوامها نظرية الأفكار أو الصور · أما كتابات أرسطوطاليس فتقصر اهتمام سقراط على التعريفات والطريقة الاستقرائية ، وتنسب نظرية الأفكار أو الصور لأفلاطون · وأرسطوفان يجعل سقراط ممثلا للسفسطائيين وأصحاب العلوم الطبيعية والنظريات الكونية ، من أمثـال أركيلوس ، وديوجين ، وأنباذ وقليس · ولقد أشار رسل Russell (٥) الى تعارض الروايات عن سقراط بقوله : « لقد كتب كثيرا عنه (يريد سقراط) اثنان من تلاميذه ، هما : زينوفون وأفلاطون ، ولكن ماكتباه عنه مختلف · وحينما يتفقان يعتقد بعض الباحثين أن زينوفون ينقل عن أفلاطون ، وحينما يختلفان يثق بعضهم فيما كتب زينوفون ، ويثق بعضهم فيما كتب أفلاطون ، ولا يثق فريق ثالث فيما كتبه الاثنان » ·

وفى مثل هذه الحالة التى تتميز باختلاف الروايات لا ينبغى للباحث أن يرجح رواية على رواية ، كما فعل كرسون Cresson (٦) ، وبيرنت Burnet (٧) ، وتايلور Taylor (٨) · فلقـد فضـل كرسـون

(*) كلية التربية ـ جامعة المنوفية ·

رواية زينوفون على أساس أن زينوفون خفيف الحمل من الفلسفة ، ويعوزه الذكاء الذى يجعله يتقول على سقراط · وهذه حجة متهافتة لاعتبارات منها : أن تقرير رجل غبى عما يقوله رجل ذكى لا يكون دقيقا ، لأنه يترجم ما يسمع الى ما يفهم · ان فقدانه للقدرة على التفكير أو العقلية الفلسفية لا يجعله مؤرخا جيدا للعبقرية الفلسفية ، وبالتالى لا يمكن قبول كل ما يقوله خاصا بالحجج ، أو حتى قوله بأن سقراط أدين بغير حق · أما بيرنت وتايلور فيفضلان رواية أفلاطون ، ويعتقدان أن سقراط الذى يبدو فى محاورات أفلاطون هو الشخصية الحقة لسقراط التاريخى · انهما ينفيان احتمال اساءة أفلاطون لأستاذه ، أو جعله مجرد شخصية فى أعماله ، يضع فى فمها ما يريد التعبير عنه من آراء وأفكار ، بما فى ذلك نظرية الأفكار أو الصور · ولكنه من غير المحتمل أن يقتصر شخص فى مثل قدرات أفلاطون على عرض فلسفة أستاذه ، ويؤجل التعبير عن فلسفته حتى يبلغ سن الستين ـ أى الوقت الذى تختفى فيه شخصية سقراط من محاورات أفلاطون ، كما هو الحال فى محاورة القوانين · اننا نستطيع اعتبار سقراط أفلاطون تعبيرا أفلاطونيا عن الحقيقة التاريخية ، وليس الحقيقة التاريخية ذاتها ، وبالتالى يمكن اقرار رواية أرسطو فى تمييزه بين سقراط أفلاطون وسقراط التاريخى ·

ان على الباحث فى شخصية تاريخية مثل سقراط أن يستفيد من جميع المصادر المتاحة ، حتى يستطيع أن يؤلف صورة كاملة من الجزئيات غير الكاملة ، على طريقة المؤرخ الذى يعيد بناء الوقائع · انه لا يستطيع أن يرفض التقارير المقدمة عن سقراط بحجة أنها متناقضة ، فالتناقض بينها لا يبرهن على خطئها جميعا ، والشك فى جزء من الرواية التاريخية لا يوجب استبعاد الرواية برمتها ، ولا يترتب على اختلاف روايتين الاعتقاد فى أن كليهما غير صحيح · ان التناقض والاختلاف يوجبان الفحص النقدى لقيمة الدليل فى ضوء خلفية المقرر ، والسياق العام الذى كتب فيه · انه لا يستطيع أن يرفض ملهاة السحب لأرسطوفانيس ، على أساس أنها ليست رواية تاريخية فى هدفها أو طابعها ، أو أنها مجرد تهكم على رجال الفكر ، لأن هذه الملهاة نفسها هى التى أثارت الرأى العام على سقراط ، واستخدمت ضده فى محاكمته ، وكانت محاورة « الدفاع » (٩) تدور حول هذا المناخ التاريخى ، بل ان محاورة « فيدون » (١٠) تثبت لسقراط بعضا مما نسب اليه فى الملهاة ، مثل كونه طلع يبحث فيما تحت الأرض وما فوق السماء ·

ولا يستطيع الباحث أن يقتصر على ما يتفق عليه الرواة باعتباره رواية صحيحة عن سقراط كما يزعم عبد الرحمن بدوى (١١) لأن هذه الروايات بشهاداته « تختلف اختلافا كبيرا فيما بينها ... حتى فى المسائل الرئيسية. « ان على الباحث أن ينظر فى جميع الروايات باعتبارها تفسيرات تاريخية متفاوتة القيمة ، يمكن من خلالها تمييز الحقيقة التاريخية . وهذا هو المنهج الذى اتبع فى الدراسة الراهنة .

ثانيا : حياة سقراط وخصائص شخصيته :

ولد سقراط سنة تسع وستين وأربعمائة قبل ميلاد المسيح أو قريبا من هذا التاريخ ، على اختلاف الروايات . وهو ابن سوفرونسكس Sophroniscus المثال ، وفاناريت Phaenarete القابلة ، التى ترجم سقراط عملها فى نشاطه الفلسفى . وكانت أسرته متوسطة الحال ، فلم يكن فقيرا فقرا مدقعا ، بدليل أنه خدم فى فرقة المشاة ، واشترك فى عدة معارك حربية ، وكان عليه أن يزود نفسه بالمعدات اللازمة للحرب (١٢) ، ولم يكن ميسور الحال ، بدليل أنه لم يستطع أن يتعلم على أيدى السوفسطائيين . يقول سقراط فى محاورة « الواجبات » (١٣) : « أما بالنسبة لى فاننى أول شخص يعترف بأنه ليس لى معلم ، على الرغم من أننى كنت دائما تواقا لأن يكون لى معلم منذ باكورة شبابى وريعان أمرى . ولكننى كنت فقيرا فقرا حال بينى وبين دفع المال للسفسطائيين ، أساتذة التربية الخلقية » .

ولقد اشتهر سقراط بعدد من الخصائص الشخصية ، والاجتماعية ، والجسمية ، والعقلية نوجزها مؤيدة بالنقول فيما يلى . كانت قدرة سقراط على الصبر والتحمل منقطعة النظير . يقول القبياديس Alcibiades (١٤): « كأن تحمله (يريد سقراط) عظيما حينما انقطعت عنا الامدادات ، واضطررنا الى الحرب بدون زاد . وفى مثل هذه المناسبات ، التى غالبا ما تحدث أثناء الحرب ، كان سقراط أعظم منى ومن كل فرد فى الجيش ... أن تحمله للبرد كان مدهشا . ففى احدى المناسبات - التى تساقط فيها الجليد بكمية كبيرة ، واضطر الجنود الى الاحتماء بالخنادق ، وان خرجوا يتدثرون بأثقل الثياب ، ويلفون أرجلهم بالصوف - خرج سقراط بملابسه العادية ، ومشى فوق الجليد محتفيا بسهولة أكثر من الجنود ذوى الأحذية الثقيلة . ولقد ارتاب الجنود فى أمره ، واعتقدوا أنه يقصد اذلالهم .

« وكانت شجاعته ويقظته فى الحرب مضرب الأمثال ، فقد أنقذ القبياديس ورجاله فى الحرب مرتين ، وكان ثابتا يقظا يلاحـــظ ضربات الأعـــداء والاصدقاء ، ويشكل جبهة قوية ضد ضربات الأعداء » (١٥) · وكان ضبطه لنفسه محل اعجاب الكثيرين · « فهو لا يشرب النبيذ ، وحينما يفعل ، يتفوق على الجميع ، ولم يره أحد سكرانا » (١٦) ·

ولقد اشتهر سقراط بقدرته الفائقة على التفكير والتأمل ، على غرار الصوفيين الذين ينقطعون عن العالم · ولا أدل على فرط طاقته العقلية من قول القبياديس (١٧) : ذات صباح ، كان سقراط يذكر فى أمر لم يستطع أن يصل فيه الى رأى ، فلم ييأس ، بل ظل يفكر فيه من مطلع الفجر حتى الظهر · وفى الظهر لاحظه الناس ، وذكروا لبعضهم أن سقراط يفكر منذ الفجر · وفى المساء ، أخرج بعض الأيونيين فرشهم فى الهواء الطلق ــ وكان الوقت صيفا حيث يبتردون ، ويراقبون سقراط ــ ليتأكدوا مما اذا كان يظل واقفا يتأمل طوال الليل أيضا · وظل سقراط واقفا حتى أصبح ، وارتفعت الشمس ، وهنا صلى للشمس ، وذهب لحال سبيله · «ومن الناحية الجسمية، كان سقراط قبيح الهيئة مقززا ، اذ كانت أنفه عريضة ، واسعة الفتحات ، ناتئة ، وكانت شفتاه غليظتين ، وعيناه جاحظتان · وكان بدينا مترهـــلا يتهادى فى مشيته محتفيا ، وكان ثوبه قديما ممزقا (١٨) · ولكن مظهره لا يدل على مخبره ، فحينما يتكلم يحظى باحترام الجميع · يقول القبياديس(١٩) : « فحديث سقراط يحدث نفس الأثر الذى تحدثه موسيقى مارسيوس ، يؤثر فينا حديثه أو تقريره عن أى شىء تأثيرا عميقا ، ويسحرنا رجالا ونساء ··· فحينما أستمع اليه يضرب قلبى ضربات سريعة كما لو كنت فى حضرة دينية، وتنحدر الدموع على وجهى · وألاحظ نفس الأثر فى غيرى من الناس · ان شيئا من هذا لم يحدث لى حينما استمعت الى بركليس وغيره من الخطباء المتازين » · ويضيف « انه ينفق وقته فى اللعب مع الناس مدعيا الجهالة ، وأشك فى أن أحدا رأى الكنوز التى يخفيها فى ذاته حينما يجد ، ويعرض مالديه · ولكننى رأيت هذه الخصائص السماوية الغالية الجميلة فيه »(٢٠)·

وكان سقراط مثلا للمواطن الصالح ، المحب لوطنه ، المطيع لقوانين بلاده ، التى يرى وجوب احترامها حتى ولو كانت جائرة ، وتمثل محاورة أقريطون (٢١) هذه الحقيقة خير تمثيل · وأقريطون صديق لسقراط زاره فى السجن ليستحثه على الفرار ، ويبين له أن من واجبه أن يفكر فى أبنائه ،

وألا يدع نفسه لعبة فى أيدى أعدائه ، ويخبره بتدبير كل شىء · ولكن سقراط لا يستجيب لدعوته ، ويأخذ فى تحليل الموقف كما هو شأنه دائما ، ويبين لأقريطون أنه تعاقد مع الدولة على ألا يقترف فى حياته مامن شأنه أن يضعف سلطانها ، ولا يجوز له أن يحنث بعهوده ، لكى يربح سنوات قليلة لاغناء فيها ولا نفع · يقول سقراط : ان بين الانسان وقوانين بلاده ميثاقا · فهو حر فى أن يعيش أو لا يعيش فى الوطن ، ولكنه اذا اختار أن يعيش فيه فعليه أن يطيع قوانين البلاد ، فان عصى حقت عليه كلمات القانون ـ أى يكون قد أخطأ مرات ثلاثا « الأولى أنه عصى والديه بعصيانه ايانا ، والثانية أننا نحن الذين رسمنا له طريق نشأته ، والثالثة أنه قطع معنا على نفسه عهدا أنه سيطيع أوامرنا فلا هو أطاعها ، ولا هو أقنعنا بأنها خاطئة ونحن لا نفرضها عليه فرضا غشوما ، ولكننا نخيره ، فاما طاعتنا واما اقناعنا ، هذا ما قدمناه اليه ، وهذا ما رفضه جميعا » (٢٢) · وتكشف المحاورة فى مجملها عن تمسك سقراط بالمبادىء التى آمن بها ولم يحل عنها ، حتى لكى ينقذ حياته بالفرار ، مثل عدم ايقاع الضر والأخذ بالثأر ورد الشر بالشر ، ووجوب اسلام القياد الى العقل وحده ، والنظر الى العدالة أولا ثم الى الحياة والأبناء ثانيا · ومن ثم كانت حياة سقراط على وفاق دائم مع مبادئه الفلسفية ، ولا أدل على ذلك من ايثاره للموت ـ سنة تسع وتسعين وثلاثمائة قبل الميلاد ـ على أن يعصى قوانين بلاده التى تعاهد على طاعتها ·

ثالثا : مجتمعه وظروف عصره :

اعتمدت المراحل الأولى من الوجود الاجتماعى فى بلاد الاغريق على نوع من الوعى الذى تمثل فى الشعور القوى بالتكامل الأسرى أو القبلى · يقول ويبستر Webster (٢٣) : « كان أعضاء دولة المدينة الاغريقية مرتبطين ارتباطا وثيقا ، فهم ينتمون الى جد واحد ، ويشتركون فى عبادة اله واحد أو بطل واحد يحميهم » · وكانت المدن الاغريقية فى بداية نشأتها دولا دكتاتورية تخضع الفرد لسلطان الدولة ، وتراقب سلوكه مراقبة دقيقة تحقيقا للصالح العام · وبالرغم من وجود مجموعتين مختلفتين من دول المدينة فى بلاد الاغريق : مجموعة تتزعمها اسبرطة ، ومجموعة تتزعمها أثينا ، فقد اشتركت جميع دول المدينة فى اخضاع الفرد للدولة أو الصالح العالم للأمة · حقا ان أثينا كانت أكثر تسامحا من اسبرطة ، ولكن كانت التربية فى المدينتين عملية تدريب وفقا للقوانين والأخلاق الاجتماعية · ولعل

هذا يتضح على أكمل نحو من وصف أفلاطون للتدريب الذى تلقاه الطفل الأثينى ، حيث يقول فى محاورة « بروتا غوراس » (٢٤) : « تبدأ التربية فى السنوات الأولى من الطفولة وتظل حتى نهاية الحياة · فالأم والأب والمربية والمربى يتنافسون فى تهذيب الطفل وترقيته بمجرد أن يفهم ما يقال · فهو لا يستطيع أن يقول أو يفعل شيئا دون أن يبينوا له أن هذا عادل وذاك غير عادل ، وهذا مشرف وذاك غير مشرف ، وهذا مقدس وذاك غير مقدس ، أفعل هذا ولا تفعل ذاك · فاذا أطاع فحسن ، وان عصى هدد وضرب ···· وفى مرحلة متأخرة يرسلونه الى المعلمين ويطلبون اليهم مراقبة أخلاقه أكثر من مراقبتهم لتعلمه ، ويفعل المعلمون ما يؤمرون به · وحينما يتعلم الطفـــل الحروف الأبجدية ويشرع فى فهم ما يكتب ··· يضعون فى يده أعمال عظماء الشعراء التى يقرأها وهو جالس على كنبة فى المدرسة · وتشتمل تلك الأعمال على كثير من المواعظ والقصص ومدائح مشاهير الرجال ، ويطلب اليه حفظها أملا فى تقليدها والعمل بمقتضاها » · ويتضح من النقل السابق أن التربية فى أثينا ـ أكثر دول المدينة تحـــررا ـ كانت نوعا من التعليم الاجتماعى ، الذى يستهدف الصالح العام ورفاهية المجتمع · يقول وايلدز ولوتـــش Wilds & Lottich (٢٥) : « يتمثل المثل الأعلى الأثينى فى الكمال الفردى من أجل الصالح العام » ·

وفى القرن الخامس قبل الميلاد أحرزت أثينا انتصـــارا حاسما على الفرس ، هيأ لبلاد اليونان قدرا من الأمن والاستقرار الذى أعان على تقدم التجارة والصناعة وازدهار فنون الحضارة · ولقد جـــذب هذا التقدم الحضارى الناس من مختلف بلاد العالم الى أثينا ، رغبة فى الثراء أو طلبا للعلم · ولقد أحضر هؤلاء الناس معهم أفكارا جديدة فى شتى ميادين الحياة أفادت منها بلاد اليونان أعظم فائدة ، فأصبحت مجتمعا مفتوحا ذا طابع عالمى يتميز بالفردية والتحرر · ولم تعد التربية القديمة قادرة على الوفاء بمطالب المجتمع الجديد ، فظهرت الحاجة الى طائفة جـــديدة من المعلمين تستطيع تعليم كل شىء(٢٦) وترتب على تلك الحرب أيضا ظهور طبقة التجار والفلاحين الذين أبلوا فى الحرب بلاء حسنا ، مما اضـــطر الدولة الى الاعتراف بهم رسميا واشراكهم فى حكم البلاد ، فانهار النظام الارستقراطى وحل محله نظام الحكم الشعبى ، الذى عرف بالديمقراطية الأثينية (٢٧) ·

وفى ظل هذه الديمقراطية أصبحت الفصاحة والبلاغة والبيان الطريق الموصلة الى المجد والشرف والسلطان · يقول كومبرز Comperz (٢٨) : « كان اللسان الأداة الأساسية فى الحكومة فى كل بلاد الاغريق ··· اذ كانت ملكة الكلام هى الطريق الوحيدة للشرف والسلطة · وكان الكلام أيضا هو الحماية الوحيدة ضد الظلم من كل نوع · وبدون هذا السلاح يتعرض الانسان لكل أنواع المخاطر ، ويكون كالمقاتل الذى يذهب الى المعركة بغير سيف أو ترس ··· ولذلك كان يجب أن يكون له مكان بارز فى برنامج تدريب الشباب » · وهكذا أوجبت النتائج المترتبة على الحرب مع الفرس ـ المجتمع المفتوح والديمقراطية الأثينية ـ وجود السوفسطائيين باعتبارهم جماعة من المعلمين ، القادرين على اشباع المطالب الجديدة للمجتمع اليونانى ·

ولقد كانت معتقدات السوفسطائيين مدعاة لتغيير المثل الأعلى القديم، الذى تمثل فى التكريس للصالح العام ، وأحلت محله الرغبة فى الشهرة والثروة واشباع الحاجات الشخصية · فلقد اعتقد السوفسطائيين أن الفرد مقياس كل شىء ، وأن الأمور على ما تبدو عليه ، وأن الحواس مصدر المعرفة، وأن احساسات الفرد معيار الحقيقة · وترتب على ذلك اعتقادهم فى عدم وجود مجموعة من المبادىء المحددة للصواب والخطأ أو الخير والشر ، وبالتالى أصبحت الفردية والنسبية هى المبادىء الحاكمة فى أثينا ، ولقد ترتب على نسبية السوفسطائيين وفرديتهم أن تغير هدف التربية · يقول ويلدز ولوتشن (٢٩) : « أصبح هدف التعليم فى العصر الجديد الاعداد للتقدم الشخصى ، وأصبح هدف الشباب الأثينى الكمال الفردى من أجل النجاح الفردى · لقد تحول الهدف القديم المعنى بالخدمة الاجتماعية العامة الى نوع من الفردية المبتذلة · لقد أراد شباب أثينا تدريبا يحررهم من قيود المعايير القديمة للحياة ، وينمى فيهم المهارات المفيدة للتقدم الشخصى والارتقاء السياسى » ، ولقد بدت الروح الفردية فى مختلف شئون الحياة فى المجتمع الأثينى ، الأمر الذى أثار حفيظة المحافظين ودفعهم الى التنديد بهذه الفردية الأنانية المبتذلة · وتمثل ملهاة السحب لأرسطوفان (٣٠) رأى المحافظين فى النظام الجديد ، وفيما يلى موجز لآراء أرسطوفان فى أربعة مجالات أساسية هى التربية ، والأخلاق العامة ، والأخلاق الخاصة ، والدين ·

وفيما يتعلق بالتربية ندد أرسطوفان بتضاؤل اهتمام الأثينيين بقيم الرجولة والبساطة والاعتدال ، وانغماسهم فى الشهوات والملذات · فلم يعد

الأطفال كما كانوا فى الماضى يذهبون الى مدارسهم فى طوابير عسكرية متدثرين بأقل الثياب ، وانما أصبحوا يذهبون اليها وهم يغنون ، ويتدثرون بالملابس الثقيلة التى تعوق حركتهم · وفى مدرسة الموسيقى لم يعد الأطفال يغنون الأغانى الوطنية الدورية الباعثة على البطولة ، وانما يغنون أغان عاطفية تثير مشاعرهم فقط · وحينما ينتقلون الى مدرسة الرياضة البدنية لا يمارسون سوى التمرينات الخفيفة التى تجمل أبدانهم ولا تقويها · وحينما يعودون الى البيت يبدون وقاحة بالغة ، فهم يجلسون واضعين رجلا على رجل ، ويردون الشتائم على والديهم ، ويعاملونهم كما لو كانوا مصدر ازعاج لهم ولا فائدة ترجى منهم · وحينما يكبرون ويسمح لهم بالخروج بمفردهم يتسكعون فى الطرقات ، ويتجاذبون أطرف النكات السخيفة ، أو يشتركون فى مناقشات سوفسطائية لا يرجى منها منفعة عملية · ونتيجة لذلك أصيب الشباب باعتلال الصحة ، ورقة البشرة ، وطول اللسان ، والفساد الخلقى ·

وفيما يتعلق بالحياة العامة بين أرسطوفان أنه بينما كانت السلطة فى العصور القديمة فى أيدى الأحكم والأفضل اللذين يستخدمانها من أجل الصالح العام ، انتقلت الى الجهلاء والغوغاء الذين يستخدمونها لأغراضهم الشخصية ، وأصبحت السياسة ونظام الحكم مشروعا لتحقيق الربح الشخصى · انه يصف الحياة السياسية التى ترتبت على انتشار الفردية ، بالجهل ، والغباء ، والطمع ، والأنانية ، وافساد الشعب · ولا يختلف رأى بندر Pender (٣١) عن رأى أرسطوفان فهو يؤكد ضرورة أن تؤول السلطة « للاشخاص الذين لا تنغص حياتهم الرغبة فى أن يصيروا أقوياء ، أو الذين يكافحون من أجل العيش · ان القادة الحقيقيين الذين نثق فيهم ونسلم لهم قيادة الآخرين هم طبقة نشأت على مستوى رفيع ·· طبقة عريقة بحكم المولد وذات تدريب عال تخلص أعضاؤها من الأنانية، ويعملون على اسعاد الآخرين » · ولم تكن الحياة الخاصة للشباب الأثينى بأفضل من حياتهم العامة ، فالأنانية ، والطمع والغش ، تحكم جميع العلاقات الاجتماعية· فلقد أصبحت الزوجات مرفهات ومنحرفات وغير مخلصات وأصبح الأطفال لئاما ، ماكرين ، لا يعنون الا بأنفسهم ، وأصبح العبيد كذابين ومهملين ومضيعين لثروات أسيادهم ، وأصبح الربح الشخصى وجمع الثروة بأى وسيلة مطلبا عاما للجميع ، وبالتالى حلت الثروة محل الشرف · وعلى

العكس من ذلك يصف بندر (٣٢) أخلاق الأرستقراطى فى النظام القديم بأنه « لا يكذب ، ولا يحنث بوعوده ، ولا يأخذ غيره علىغرة ، ولا يغش،ولا يخدع· انه كريم ، وشجاع ، ويحيا على الشرف ، ويعنى بالفقراء والمساكين » · وفيما يتعلق بالدين لاحظ أرسطوفان أن قيم الفردية حلت محل الآلهة · ولقد كان أرسطوفان محقا فقد أنكر السوفسطائيون والفلاسفة أهمية الأساطير القديمة، فاستخدم كل قواه التهكمية فى السخرية من الأشـــخاص ، الذين اعتبرهم مسئولين عن ضآلة أهمية الآلهة فى المجتمع الأثينى ، مثل سقراط وغيره من السوفسطائيين ·

ومما هو جدير بالذكر أن هناك بعض الشواهد التى تؤيد أرسطوفان فيما ذهب اليه من تأثير السوفسطائيين على المجتمع الأثينى ، فأرسطو (٣٣) يتحدث فى كتابه « السياسة » عن نوعين من الموسيقى : نوع هدفه الاستمتاع الشخصى ، ونوعيطلب من أجل غيره ، ويفضل أرسطو النوع الأول على النوع الثانى · وفى مجال الأدب تضاءلت أهمية الشعر الغنائى الباعث على البطولة ، وحل محله الشعر الباعث على التفكير والتأمل · ولعل هذا يتضح من المناقشة التى عقدت بين ســـقراط وبوليمارخوس عن العدالة ، واستشهاد بوليمارخوس بأشعار سيموندس ، التى استغلق على ســـقراط فهم مقصود الشاعر منها لاغراقها فى التأمل (٣٤) · وهكذا نرى أن المجتمع الذى عاش فيه سقراط قد تميز بوجود نظامين اجتماعيين متصارعين هما : النظام الاجتماعى الذى يستهدف الفرد والنظام الاجتماعى الذى يستهدف المجتمع ، وكانت مهمة سقراط هى التوفيق بين مطالب الفردية والاستقرار الاجتماعى ·

رابعا : معتقداته الفلســفية :

(أ) طابع فلسفته : يعتبر سقراط نقطة تحول فى تاريخ الفكر الفلسفى، اذ تعرف الفلسفات السابقة عليه بالفلسفات قبل السقراطية (٣٥) ولعل هذا ما قصده شيشرون بقوله : « ان سقراط أنزل الفلسفة من الســـماء الى الأرض » (٣٦) أى أنه حولها من التأملات الطبيعية للايونيين ، والتأملات الكونية للايطاليين ، الى تحليـــلات الخلق والســـلوك · يقـول زينوفون Xenophon (٣٧) : لم يمل سقراط من مناقشة الموضوعات الانسانية مثل : ما التقوى ؟ وما الفجور ؟ وما الجميل ؟ وما القبيح ؟ وما الفاضل؟ وما الخسيس ؟ وماذا يقصد بالعادل والظالم ؟ وما معنى الحكمة والجنون؟

وماذا يقصد بالشجاعة والجبن ؟ وما الدولة ومارجل الدولة ؟ وما الحاكم على الناس ؟ وما أخلاق الحاكم ؟ وغير ذلك من المسائل · وليس معنى ذلك أن سقراط جهل العلوم الطبيعية ، أو الأنساق الفكرية للعلم المعاصرة له والسابقة عليه ، بدليل أنه كان يناقش أصحابها مناقشـــة تنم عن معرفته بأسرارها وحقائقها · ولقد بين أرسطوفان فى ملهاة «السحب» أن سقراط كان تلميذا لأرخيلوس ، واقترن اسم انكساغوراس معلمأرخيلوس باســـم سقراط فى محاكمته ، على أساس أنه يذهب مذهب الطبيعيين · حقا ان سقراط تنصل من هذه التهمة فى محاورة « الدفاع » ، وخاطب القضـــاة قائلا : « أيها الأثينيون ! الحق الصراح أنى لا أتصل بتلك الدراسة الطبيعية بسبب من الأسباب ، ويشهد بصدق قولى كثير من الحضور » (٣٨) ان هذه العبارة تنفى صلته بالعلوم الطبيعية فى ذلك الوقت ، ولكنها لا تنفى صلته بها من قبل · انها تعنى فقط انصرافه عن العلوم الطبيعية بسبب تناقضاتها · فالثابت أن سقراط عاش فى عصر بركليس ، الذى شـــهد افلاس العلوم الطبيعية · فالتأملات الطبيعية التى بدأت فى القرن السابع قبل الميلاد أدت الى تعارض الآراء والأفكار « فلقد بين بارمينيدس أن العالم الحقيقى شىء مختلف عما تبديه الحواس ، وبين تلميذه زينون أن المسلمات الرياضـــية خاطئة » (٣٩) ومن ثم تجنب سقراط الخوض فى هذه العلوم ؛ ولأنه لم يجد فيها ما يطمئن اليه · والنقل التالى من محاورة « فيدون » (٤٠) يدل دلالة قاطعة على دراسته للعلوم الطبيعية ، ولقد حرصت على ايراده مفصـــلا تصحيحا لبعض الآراء الخاطئة الشـــائعة عن ســـقراط ، وتأييدا لبعض اتهامات أرسطوفان ·

يقول سقراط مخاطبا سيبيس : « عندما كنت شابا ، كان عجيبا ذلك الشعور الذى كنت أحمله لهذا النوع من المعرفة الذى ندعوه بالبحث عن الطبيعة ، وكنت أجد له فى الواقع جلالا لا مثيل له · فهو يعرف أسباب كل شىء ، ولماذا يأتى الى الوجود ، ولماذا يفنى ، ولماذا يوجد ·· ·وكنت أبحث أيضا فى الطريقة التى بها يفسد كل هذا ، ثم كل ما يتصل بالسماء والأرض ثم انتهيت الى أنى غير منته لهذا البحث وذلك بشكل لا مثيل له ···· ولـكن ذات يوم سمعت من يقرأ فى كتاب لأنكساغوراس ··· وكان فيه هذا الكلام : انه قطعا العقل الذى نظم كل شىء ، وأنه العلة لجميع الأشياء · ان مثل هذه العلة قد سرتنى ، ويبدو لى أنه كان هناك من ناحية ما ، أرجحية فى جعل العقل هو العلة الكلية ···· فقلت لنفسى انه لا يوجد على الاطلاق ما يهتم الانسان بأن يجعله نصب عينيه فى البحث ···· سوى الكمال والسمو · ومن الضرورى مع ذلك أن يكون للانسان بالمثل معرفة بالأكثر شرا من حيث

ان هذه متعلقة بنفس المعرفة · هذه الأفكار قد ملأتنى رضى ، فقد تخيلت أنى قد اكتشفت الرجل القادر على ارشادى الى العلة التى يمكن لنفسى ادراكها ، العلة لكل ما هو كائن · أى نعم ، سيعلمنى أناكساغوراس أولا اذا كانت الأرض مسطحة أو كروية ، وهو اذ يعمل على تعليمى ذلك ، سيشرح لى أيضا مع التفصيل لماذا يكون ذلك ضروريا ··· وفى الواقع لم يخطر لى لحظة واحدة عندما أعلن أن كل ذلك قد نظمه العقل ، أنه قدم بهذا الخصوص علة أخرى غير هذه العلة ··· انى لم أضح بآمالى بسهولة بل على العكس بأى حماسة أمسكت بالكتاب ، وكنت أقرأه بأسرع ما أستطيع ، لكى أعرف سريعا الأفضل والأسوأ· ولكن وداعا أيها الأمل العجيب · ·فكلما كنت أتقدم فى قراءتى ، كنت أجد رجلا لا يفعل شيئا بالعقل ، ولا ينسب اليه أيضا أى دور فى العلل الخاصة بنظام الأشياء ؛ بل على العكس يذكر فى هذا الخصوص أفعال الهواء والأثير والماء وكثيرا من التفسيرات الأخرى المضطربة » ·

ان أفضل طريقة لمعرفة الطابع العام لفلسفة سقراط هى أن ننظر اليها على خلفية من الفلسفة السوفسطائية · والسوفسطائيون جماعة من المعلمين المتجولين ، الذين جاءوا الى أثينا من المستعمرات اليونانية ، واستخدموا العقل فى نقد الأنظمة الاجتماعية والخلقية السائدة فى بلاد اليونان · واختار السوفسطائيون مناهج تعليمهم على أسس عقلية فى ضوء حاجات الأفراد الذين يعلمونهم · وبدلا من اعتبار التقاليد الاجتماعية معيارا لما يقدمونه من مقررات دراسية ، جعلوا الانسان الفرد مقياسا لكل شىء · ولقد حدد ايبى وأرووود Eby & Arrowood (٤١) أهم معالم الفلسفة السوفسطائية فى أربع النقاط التالية :

١ ـ اعتقد السوفسطائيون أن اللذة مطلب كل انسان ، وان كل انسان يتحكم فى سلوكه بغية الحصول على أكبر قدر من اللذة الحسية ، وأن صالح الفرد أهم من صالح المجتمع ·

٢ ـ أعلى السوفسطائيون من شأن السلوك المدفوع بدوافع تلقائية ، على حساب التقاليد والمثل الاجتماعية · وبذلك أخفقوا فى ادراك أهمية المعايير الاجتماعية الموجهة للسلوك ·

٣ ـ لم يسلم السوفسطائيون بوجود طائفة من المبادىء العامة المحددة

للصواب والخطأ . فالفرد فى رأيهم مقياس الصواب والخطأ والخير والشر. وكل شىء عندهم يعتمد على الذوق الفردى .

٤ - والحواس فى رأيهم مقيـــاس الصـــحة والخطأ فى الأحكام ، فاحساسات الفرد هى معايير الحقيقة . ونتيجة لذلك أنكروا الحقائق المطلقة، وسلموا بنسبية كل شىء ، وارتباط كل الأحكام باللحظة الراهنة .

ولقد وضع السوفسطائيون موضع الاتهـام فى المجتمع الأثينى لثلاثة أسباب : الأول ، لأنهم علموا كيف يمكن خداع الجمهور عن طريق القدرة البلاغية (٤٢) والثانى ، لأنهم باعوا حكمتهم بالمال وكونوا ثروات طائلة والثالث ، لأنهم افتقروا لأى نوع من الوطنية (٤٣) ويبدو أن السبب الثانى كان أهم الأسباب الثلاثة السابقة فى اثارة حنق الأثينيين على السوفسطائيين. ولعل ذلك يبدو من مقاومة أنيتس Anytus لاقتراح سقراط فى أن يذهب مينـــو Meno لكى يتعـلم على يد أحـد السوفسطائيين ، فاعترض انيتس قائق : « ان الشباب الذين يدفعون أموالهم للسوفسطائيين حمقى ، ومن يعهدون اليهم بذويهم وحراسهم حمقى ، ومعظم المدن التى سمح لهم بالدخول لا تقل عن هؤلاء وهؤلاء حمقا . فلا أنا ولا أحد أقربائى اتصل أو سوف يتصل بهم » (٤٤) ولقد نظر كثير من الاثينيين الى ســـــقراط باعتبـاره سوفسطائيا ، ولم يكن هذا افتئاتا عليه . حقا أنه لم يدع الحكمة ، ولم يأخذ على تعليمه أجرا ، ولكنه يشبههم فى كثير من الأمور ، فقد أنفق حيـــاته كالسوفسطائيين فى تعليم الأخلاق ، وكان الناس يسألونه عن أمور السلوك العملى ومشكلات التربية .

وعلم السوفسطائيون اللغة والفصاحة والبلاغة والبيان باعتبارها أدوات للنجاح الشخصى والسياسى ، وكان ولع سقراط بالكلمات والمناقشات أمرا مقررا . وكان سقراط يستخدم طريقة نفى العكس فى أحاديثه مع محاوريه ، وهذه هى نفس الطـريقة التى كان يتبعهـا السوفسطائيون . واعتقـــد السوفسطائيون أن الفضيلة تعتمد على المعرفة ويمكن تعليمها ، وأكد كل من زينوفون وأفلاطون وأرسطو هذا باعتباره تعبيرا عن وجهة نظر سقراط . وعلى سبيل المثال ، أعلن أرسطو (٤٥) أن سقراط اعتبر الفضائل صـــورا للعقل ، وبالتالى يمكن تعليمها . ولم يفرق أرسطوفان وغيره من المحافظين بين سقراط والسوفسطائيين ، على أساس أن مبادىء الفريقين كانت ثورية

ومدعاة لقلب الأنظمة الاجتماعية والخلقية فى أثينا · ان الخلاف بين سقراط والسوفسطائيين لم يكن خلافا على المبادىء العامة ، وانما على تفسير تلك المبادىء · فحينما يقول السوفسطائيون : « الانسان مقياس كل شىء » يفسرون الانسان بأنه الانسان الفرد · أما سقراط فيقرر أن الانسان الذى هو مقياس كل شىء ليس الانسان الفرد الذى يأكل ويشرب وينام ، وانما هو الانسان العام المتعالى ·

ولم يكن سقراط كالفيلسوف الحديث ، الذى يعمل فى مكتبه ، ويضع أفكاره فى كتاب ، وانما أنفق سقراط وقته يناقش أى شىء ، وكل شىء ، مع الشباب أو الشيوخ ، فى الأسواق أو الملاعب أو غيرها من الأماكن العامة · فكان يستجوب السوفسطائيين ، والسياسيين ، ورجال الدين ، والحرفيين فى ثقافاتهم وحرفهم ، ويسألهم عن الصواب والخطأ ، معلنا جهله ، ومبديا رغبته فى التعلم · انه أراد أن يوقظ الأثينيين من سباتهم ، ويحررهم من ربقة رضاهم الباطل عن أنفسهم ، ويرشدهم الى فحص أفكارهم ، ويثير فيهم الرغبة فى المعرفة ، ويعلمهم ما تعلمه من راعية دلفى ـ أى الاقرار بجهله وعدم الرضى عن نفسه ـ ويجعلهم يشعرون « بلدغة الحيـــة » أو بالروح الفلسفية كما يقول ألقبياديس (٤٦) ·

وتكشف المحاورات التى قدمها أصدقاء سقراط وتلاميذه عن هـــذا النشاط الفلسفى · فهى تقدم شخصية فلسفية لانسقا فلسفيا · انها تقدم سقراط محدثا ومحاورا ·

(ب) التعريفات العـــامة ونظرية المعـــرفة : أعلن أرســـطو فى ميتافيزيقاه (٤٧) أن هناك تطورين فى العـــلم يرجعان الى ســـقراط همـــا التعريفات العامة واستخدام الطريقة الاستقرائية · ان ما يقصده أرسطو بالطريقة الاستقرائية التى أبدعها سقراط هى الطريقة التى تبدأ بتعريف من الأقل كمالا الى الأكمل · وليست هذه هى الطريقة الاستقرائية المنطقية · يقول عبد الرحمن بدوى (٤٨) : ان سقراط لم يستخدم هذا المنهج كما يعرفه المناطقة ، وانما كان يدرس الحالات العامة والحالات الخاصة ويصل منها الى حكم · ولقد عنى سقراط بالتعريفات العامة للرد على السوفسطائيين ، الذين أثبتوا المعانى الجزئية ، وأنكروا المعانى العامة · فالأمثلة الجزئية فى

رأى سقراط قد تختلف ، أما التعريفات فتظل ثابتة ؛ لأنها تعبر عن حقائق الأشياء وماهياتها · فاذا أخذنا تعريف أرسطو للانسان - أى الحيوان الناطق - وجدنا أن الأفراد الانسانيين يختلفون فى قدراتهم العقلية ، فبعضهم يكون ذا قدرة عالية وبعضهم ذا قدرة متدنية ، وبعضهم يعتمد على العقل فى توجيه سلوكه وبعضهم يعتمدعلى الغريزة أو الدوافع المؤقتة ، وقد يكون العقل صحيحا عند بعض الناس ومعوقا عند بعضهم ، ولكن جميع الأفراد الذين يمتلكون العقل - سواء أكانوا يستخدمونه أم لا يستخدمونه ، وسواء أكانت عقولهم صحيحة أم معوقة - يصدق عليهم التعريف · وهذا التعريف يظل ثابتا وصادقا على جميع أفراد المعرف · فاذا كان الانسان كان الحيوان العاقل ، واذا كان الحيوان العاقل كان الانسان ·

ويتضح اتجاه سقراط نحو المعرفة من عنايته البالغة بالتعريفات · فالتعريف بالنسبة اليه مفهوم واضح محدد · وبالرغم من اختلاف أفراد المعرف فى جوانب معينة ، فانها تشترك فى ماهية ثابتة لا تتغير ، ولا ترتفع عن أحدها · ان هذا المعنى هو ما أراده سقراط من أوطيفرون حينما طلب اليه ان يعرف التقوى والفجور فى المحاورة المسماة باسمه ، حيث سأل سقراط قائلا : « وما التقوى والفجور ؟ » فأجاب أوطيفرون : « التقوى هى أن تفعل ما أنا فاعل ، أعنى أن تقيم الدعوى على كل من يقترف جريمة القتل أو الزندقة أو ما الى ذلك من الجرائم ، سواء أكان أباك أم أمك أم كائنا من كان ، فذلك لا يبدل من الأمر شيئا ، وأما الفجور فهو ألا تقيم على هؤلاء الدعوى » (٤٩) » فاعترض سقراط قائلا : « تذكر أنى لم أطلب اليك أن تضرب لى للتقوى مثلين أو ثلاثة ، بل أن تشرح الفكرة العامة التى من أجلها تكون الأشياء التقية كلها تقية ، ألا تذكر أن ثمة فكرة واحدة من أجلها كان الفاجر فاجرا والتقى تقيا » (٥٠) فأجاب أوطيفرون : « أذكر ذلك » فقال سقراط : « أنبئنى ما حقيقة هذه الفكرة ، حتى يكون لدى معيار أنظر اليه ، وأقيس به الأفعال ، سواء فى ذلك أفعالك أم أفعال سواك ، وحينئذ أستطيع أن أقول أن هذا العمل المعين تقى وان ذلك فاجرا » (٥١) · وبنفس الطريقة أراد سقراط تعريفا للعدالة - أى الفكرة العامة التى تجعل الأشياء العادلة عادلة - وفكرة الجمال التى تجعل الأشياء الجميلة جميلة ·

ان سقراط كان مفتونا بقدرة العقل على التفكير فى الافكار العامة ، وليس فقط فى الأشياء النوعية أو الأمثلة الجزئية · فحينما يفكر العقل فى

شيء فانه يفكر فى شيء آخر ، فاذا فكر فى الوردة الجميلة فانه يفكر فى الوردة المخصوصةويفكر فى مشاركتها فى مفهوم الجمال · والتعريف فى رأى سقراط هو العملية التى يمكن بمقتضاها التمييز بين هذين الشيئين ـ أى الوردة المخصوصة والوردة العامة التى تشارك فيها الوردة المخصوصة · يقول ويب Weeb (٥٢) معبرا عن اتجاه سقراط : « ان الفضائل كالعدالة والشجاعة والحق وغيرها لا معنى لها ما لم يعرف الناس حقائقها · فقد نصف شخصا بالأمانة ، ثم نكتشف أنه غير أمين ، لأننا لم نعرف المعنى المشترك الذى يوجد فى جميع المواقف التى يطلق عليها لفظ الأمانة · ولذلك أكد (يريد سقراط) على ضرورة فهم الطبيعة الأساسية للعدالة والشجاعة وغيرها، ورأى أنهدفه هو صياغة تعريفات لها · وهذه الأشياء ليست موضوعا للحواس لأن ما تدركه الحواس هو الاشياء النوعية ، وأما الطبائع الحقة فموضوع للتفكير ولابد أن تعرف عن طريق العقل » ·

وعن طريق هذا الأسلوب فى التعريف بين سقراط أن المعرفة الحقة أكثر من مجرد فحص الوقائع · فالمعرفة تتعلق بقدرة العقل على اكتشاف العناصر التى تبقى بعد ذهاب الوقائع · ففكرة الجمال تبقى بعد ذبول الوردة · ان هناك شيئين هما الشيء والفكرة · الاشياء تختلف فلا تتماثل وردتان ، ولكن الفكرة ـ فكرة الجميل ـ لا تختلف · فاذا قصر الانسان فكره على الوقائع الجزئية ـ كما يفعل السوفسطائيون ـ فان كل شيء يبدو مختلفا · انهم جمعوا وقائع جزئية عن الثقافات المختلفة ، واستنتجوا أن العدالة والتقوى والخير والشر أمور نسبية ، ولكن سقراط لم يقبل هذه النتيجة ، فالاختلافات فى الوقائع الجزئية لا تتعارض مع أحدية المفهوم أو الفكرة · فاختلاف الناس طولا وعرضا ووزنا لا ينفى كونهم أناسا · لقد فكر سقراط بنفس الطريقة فى العدالة والتقوى والخير والشر ، وبدلا من الشك أمكنه البلوغ الى أفكار عامة ، أو مبادىءتصدقعلى الحالات الفردية · وبعبارة أخرى ، ان سقراط يميز فى المعرفة بين مستويين : أحدهما قائم على فحص الوقائع ، وثانيهما قائم على تفسير الوقائع · فاستخدام الأفكار العامة فى محادثاتنا يفيد أن هناك أساسا فى الوقائع يبرر استخدامها على هذا النحو ، على خلاف ما يذهب الاسميون · ولكن هل تشير الأفكار العامة فى رأى سقراط الى حقائق موجودة كوجود الأشياء النوعية ؟ ان أسماء الأعلام تشير الى أشخاص موجودين فى وقت معين ومكان معين ، فهل تشير كلمة انسان الى

حقيقة وجودية أيضا ؟ ان الاجابة عن هذا السؤال تعتمد على الاجابة عن سؤال أخر مؤداه : هل كان سـقراط صاحب نظرية الأفكار أو المثل ؟ ان أرسطو (٥٣) يجيب بالنفى ، ويعتقد أن أفلاطون هو صاحب نظرية المثل - تلك النظرية التى تجعل للافكار العامة وجودا أصدق من وجـود الأشـياء الواقعية · ومن ثم يكون لسقراط فضل وضع حجر الأساس فى النظرية ·

(ج) الارتباط بين المعرفة والأخلاق : يتفق كرسون Cressen (٥٤) وبولسـن Paulsen (٥٥) على أن جميع المذاهب الأخلاقية تحاول الاجابة عن سؤالين هما : ما الذى تصبو اليه الطبيعة الانسانية ؟ وكيف يستطيع الانسان الوصول الى ما يصبو اليه بحكم طبيعته ؟ وقد يعـرف الانسان ما يريد ولكنه يجهل السبيل الموصلة اليه · ومن ثم لا يكفى ارشـاد الانسان الى ما يتطلع اليه بحكم طبيعته ، بل يجب انارة الطريق الموصلة الى ذلك · ولقد حدد سقراط من هذين السؤالين فاعتقد أن السعاد هى هـدف الطبيعية الانسانية ، وأن المعرفة هى السبيل الموصلة الى السعادة · والسعادة فى رأيه ليست فى المال ، ولا الجمال ، ولا المجد ، ولا القوة ، وانما هى أثر لحالة نفسية أخلاقية ، قوامها الانسجام بين رغبات الانسان وظروفه ، ولعل هذا يبدو من الحديث الذىجرى بين سقراط وأنتيفون السوفسطائى فيما يرويه زيتـوفون (٥٦) حيث يقول : هاجم أنتيفون سـقراط قائلا : كنت أعتقد أن الفلاسفة أسعد الناس · غير أنه يبدو لى أنك تستمد من الحكمة ما يناقض السعادة ، ولا أشك فى أن العبد يأبق لو أجبر على مثل حياتك · انك ترضى بأردأ الطعام والشراب ، وتلبس معطفا واحدا صيفا وشـتاء ، ولا تنتعـل ، ولا تلبس قميصا · فاذا كان من تخالطهم يشبهونك فتأكد أنك تعلم فن الشقاء · فأجاب سقراط أولا بأنه لا يشعر بالحرمان مما لايرغب فيه ؛ وبين أن أنتيفون يخطىء فى فهم طبيعة السعادة ، لأنه يوحد بينها وبين الرفاهية والأبهة · وأجاب سقراط ثانيا بأنه اذا كان من خصائص الاله أنه لا يحتاج الى شىء ، فان ما يقرب اليه أن يرضى الانسان بالقليل ، وبما أنه لا أكمل من الله ، فان القرب منه قرب من الكمال ·

ان المعتقد الأساسى فى الفلسفة الخلفية لسقراط هو أن الانسان لا يفعل الشر بمحض ارادته ، وأن الفضيلة هى ثمرة العلم · يقول سقراط (٥٧) : « لا يفعل الانسان الشر وهو يعلم أنه شر ، فاذا أجبر على المفاضلة بين بديلين فانه سوف يختار ما يعتبره صحيحا » · فكل خطأ أو انتهاك خلقى يرجع

أساسا الى الجهل · فاذا عرف الانسان الخير ، وعرف السبيل الموصلة اليه ، فلابد أن يفعله ، واذا عرف الشر ، وعرف ما يترتب عليه من نتائج وخيمة ، فلابد أن يتجنبه · ان المعرفة والفضيلة مرتبطان فى رأى سقراط ، فالخير هو الفضيلة ، والفضيلة هى المعـــرفة · والنقل التالى من محاورة بروتاغوراس (٥٨) يعبر عــن المعنى الســـابق ويؤيده : « يابروتاغوراس وسقراط ! ما معنى الانهزام أمام اللذات ؟ أخبرانا ماذا تسميان تلك الحالة؟ اذا قلنا انها الجهل فسوف تسخران منا ، ولكن سخريتكما منا سخرية من نفسيكما ، لأنكما أيضا تعتقدان أن الناس يخطئون فى اختيارهم للمسرات والآلام – أى فى اختيارهم للخير والشر – بسبب نقص المعرفة ، وتعتقدان أيضا أنهم يخطئون لا بسبب نقص المعرفة عامة ، وانما بسبب نقص المعرفة النوعية ··· ثم انكما تعلمان (الناس) أن الفعل الخاطىء ، الذى يتم بدون معرفة ، يترتب على الجهل » · ان هذه الأخلاق العقلية التى توجد بين المعرفة والفضيلة ، والجهل والرذيلة ، تبدو مناقضة لوقائع الحياة اليومية ، فالناس يفعلون أشياء يعلمون أنها شريرة · وقد نقد هذا الرأى بعض الفلاسفة مثل أرسطو (٥٩) « فقال مامعناه : لقد نسى سقراط أو جهل أن الانسان ليس عقلا خالصا بل هو مركب من العقل والعاطفة والشهوات فربما أتى الشر خضوعا لتلك الغرائز والشهوات ، وهو عالم بأنه شر · وربما ترك الخير كذلك وهو عالم بأنه الخير » ·

ان سقراط يستطيع الدفاع عن نفسه قائلا : أنا لا أقصـــد بالمعرفة المعتقدات الشخصية التى تبين لأصحابها أن شيئا خير أو شرير ؛ لأن هذه مجرد آراء لم تبلغ مبلغ المعرفة بالمعنى الأفلاطونى فاللص قد يسرق معتقدا أن السرقة توفر له السعادة ، ويطلب الناس الثراء أو القوة معتقدين أنها أسباب السعادة ، ولكنهم يخلطون بين ما يبدو خيرا وما هو حقا خير · ان سقراط يفهم الخير بمعنى ما يؤدى الى فائدة حقيقية ، أو يوافق الطبيعة الانسانية · فكل انسان يبحث عن سعادته ، وليس كل ما يأتيه أو يدعه يحقق سعادته · فقد يرغب انسان فى أن يظل سكرانا ، وبخاصة اذا كان يعانى من مشكلة خطيرة ، ولكن السكر ليس خيــره الحقيقى ، لأنه قــد يضره ويستبعده · فاذا فعل انسان هذا معتقدا أن فى السكر خيره ، أخطأ بسبب جهله ، واذا عرف أن خيره فى ألا يسكر ، فلن يسكر · وقد يعترض معترض فيقول : ان الانسان قد يعرف أن السكر لا يحقق خيره الحقيقى ، ومع ذلك يظل يسكر · عندئذ يستطيع سقراط أن يقول : قد يعرف الانسان على مستوى

عقلى أن السكر لا يحقق سعادته ، ولكن قوة الدافع تصرف انتباهه عن هذه المعرفة وتركزه على حالة الاشباع ، وبالتالى تكون المعرفة فى منزلة الجهل بالحقائق · ان سقراط يريد المعرفة الكاملة ، التى تعلو على حكم الغرائز والشهوات ، وتعصم الانسان عن الانخداع بما فى الشر من جاذبية خادعة ·

(د) فكره الاجتماعى والسياسى : يذكر زينوفون فى مذكراته عن سقراط أنه لم يمل من اثارة الأسئلة التى تتعلق بالحكم وادارة الدولة مثل : ما الدولة ؟ وما رجل الدولة ؟ وما الحاكم ؟ وما خلق الحاكم ؟ الخ · وبالرغم من أنه لم يجب صراحة عن تلك الأسئلة فقد أرشد الى طريقة الاجابة عنها ، من خلال بيانه لأهمية المعرفة فى الحياة الانسانية · فاذا حصل الانسان على المعرفة ، استطاع أن ينظم حياته وحياة غيره وفقا لها · وبالرغم من اشتراك سقراط فى ادارة الدولة ، حيث شغل منصب عضو فى مجلس الدولة ، وكانت له رئاسة المجلس فى محاكمة القواد الثلاثين ، الذين فقدوا سفنهم فى الحرب ضد اسبرطة ، ولم يستطيعوا انقاذ جثث القتلى ، الا أنه رفض الاشتراك فى أفعال الدولة التى اعتبرها جائرة ، كادانة القواد دون السماح لهم بالدفاع عن أنفسهم ، لمخالفة ذلك لقوانين البلاد (٦٠) ولقد انتقد سقراط المؤسسات الاجتماعية فى عصره ، مثل نقده للديمقراطية الأثينية ؛ لأخذها بنظام الاقتراع فى تعيين الحكام · يقول سقراط (٦١) : « لقد كان من الغباء أن يعين حكام المدينة بالاقتراع ، بينما لا يرضى الانسان أن يستخدم بحارا أونجارا أو عازف نای بالقرعة » · ان نظام الاقتراع فى رأيه يؤدى الى تعيين من لا يعرف فى المناصب القيادية ، الأمر الذى يستنكره· ولعل هذا يتضح من لومه لخارميدس على خجله عند مخاطبة أعضاء الجمعية العمومية ، فقال فيما يروى زينوفون (٦٢) : « أتهاب الرفائين ، والحذائين ، والنجارين ، والحدادين ، والفلاحين ، والتجار ، وأصحاب الحوانيت ، الذين تتألف منهم عضوية الجمعية ! » وقال سقراط أيضا فى محاورة بروتاغوراس (٦٣) : « اننى ككل الاغريق أعتقد أن الأثينيين حكماء ··· لأنهم لا يسترشدون بنصح من لا يأنسون فيه الخبرة ، حتى ولو كان سيدا أرستقراطيا ··· ذلك مسلكهم فيما يختص بالمسائل الفنية · أما اذا دارت المناقشة حول سياسة المدينة ، فيستطيع أى فرد أن يقف ناصحا لهم ، سواء أكان نجارا ، أم حدادا ، أم صانع جلود ، أم تاجرا ، أم بحارا ··· ولا يلومه أحد ، كما يلام الآخرون على محاولتهم اسداء النصح وهم لا يعلمون ولم

يعلمهم أحد » . ومن الواضح أن القيم التى عاش عليها سقراط ، مثل عدم الاهتمام بالثروة ، وتحرره من الرغبة والطموح كانت نقدا حيا للأبنية الاقتصادية والاجتماعية فى أثينا .

وبالرغم من بيان سقراط لنقائص الدولة الأثينية فى عهده ، ونقده لأخطاء الحكومة ، فقد كان مخلصا للدولة محبا للوطن ، فرفض الهرب من السجن ، وآثر الموت على عصيان قوانين البلاد ، ووضع فى محاورة « أقريطون » (٦٤) أول نظرية فى العقد الاجتماعى بين الانسان والدولة . فقد اعتبر الدولة أما أو أبا لا ينبغى أن يتنكر الابن لهما مهما كانت أحكامهما جائرة أو مجحفة . انه يقرر أنه لا يقوى على خيانة وطنه كما لا يقوى على التنصل من والديه . وهو لم يتمرد على الدولة ، ولم يؤلب تلاميذه عليها ، بل نصحهم بالاخلاص لها ، والعمل على تصحيح أخطائها .حقا ان سقراط لم يضع نظرية سياسية أو اجتماعية ، ولكنه أثر فيمن حوله بمسلكه ، وربما يكون أفلاطون قد استمد فكرته عن الحكام الفلاسفة من سيرة حياة سقراط أكثر من أقواله . ان سقراط لم يسأل سقط ما الكمال ؟ ومن هم معلموه ؟ ولكنه كان يسأل أيضا أسئلة مثل : اذا أردنا أن نصلح أحذيتنا فالى من نذهب ؟ واذا أردنا أن نصلح سفينة الدولة فالى من نذهب ؟ ومن ثم كان للمحافظين الأثينيين أن يخشوا خطره باعتباره قوة اجتماعية تعمل من وراء الكواليس ، نتيجة للاقتران الوثيق بين التربية والسياسة . ومن ثم كان اسكاتهم له بالموت أيسر عليهم من اصلاح الشرور التى ندد بها .

خامسا : نشاطه التربوى :

(أ)هدفه التربوى : تمثل الهدف التربوى الذى سعى سقراط الى تحقيقه فى التوفيق بين مطالب الفردية والاستقرار الاجتماعى . فلقد أدرك أن الأهداف التربوية القديمة لا تناسب الظروف المتغيرة للمجتمع الأثينى فى عصره ، ولكنه كان مقتنعا بأن الفردية الأنانية المبتذلة التى دعا اليها السوفسطائيون لا تصلح أساسا للاخلاق ، أو التربية ، ومن ثم أوجب العناية بالأخلاق والبحث عن هدف أكبر وأكمل للتربية . وتمثل له حل المشكلة فى الأخلاق التى تعتمد على المعرفة ، ومن ثم عارض نسبية السوفسطائيين،وأعلن أن هناك مفاهيم عامة يتفق عليها جميع الناس ، كالتقوى والصلاح والعدل والاستقامة ، لأن عناصر هذه المفاهيم مركوزة فى وجدان الانسان ، ويمكن

فهم دلالالتها عن طريق التفكير الدقيق · ان معرفة هذه المفاهيم وتطبيقها فى حياة الناس تؤلف جوهر الفضيلة ، والفضيلة هى هدف التربية · وتهدف التعاليم السقراطية الى تنمية القدرة على التفكير الصحيح لمساعدة الانسان على الوصول الى تلك المبادىء الخلقية العامة · ولعل هذا هو ما دفع سقراط الى ايقاظ الاثينين من سباتهم حتى لا يسلموا بما ورثوه من آراء تقليدية ، لم توضع موضع البحث والاختبار ، وحاول ما استطاع أن يثير فيهم حب البحث فى معانى الأحكام التى يرسلونها ارسالا فى مسائل السلوك والأخلاق (٦٥)· ولكن كيف وصل سقراط الىهذهالنتيجة ؟

لقد وجه سقراط اهتمامه الى مبدأ السوفسطائيين ، ووافق على أن الانسان مقياس كل شىء ، ولكنه ركز على الانســـان باعتباره عضوا فى جماعة ، لا على الانسان الفرد · انه تذكر ما أوجبته راعية دلفى من ضرورة معرفة الانسان لنفسه ، فأخذ يسأل عن شروط المعرفة الصحيحة ، وطبيعة الشخص الحاصل على هذه المعرفة · وبالرغم من عدم اجابته عن هذين السؤالين ، فقد اتخذ الخطوات الضرورية للاجابة عنهما · انه بدأ ببيان أن المعرفة التى تستحق هذا الاسم يجب أن تكون عامة ، ولا تعتمد على الفروق الفردية ، وأن ذلك لا يكون ممكنا الا اذا كانت محتويات جميع العقول واحدة· يقول فروست Frost (٦٦) : « لقد أعلن (يريد سقراط) أن أفضل شىء يملكه الانسان هو المعرفة ، وأنه يمكن الحصول على هذه المعرفة بازالة الفروق الفردية ، واكتشاف الأساسيات التى يمكن أن يوافق عليها كـــل انسان » · لقد اعتقد سقراط أن عبارة « الانسان مقياس كل شىء » لا تكون صحيحة الا اذا كانت الحقيقة عامة ومحتويات جميع العقول واحدة ، ولذلك شرع سقراط فى اختيار هاتين المقولتين · ونظرا لأن معرفة هذا لا تكون ممكنة من خلال الذكاء الفردى فقد أخذ سقراط فى مناقشة غيره ، معتمدا على طريقة المحاورة أو الطريقة الجدلية · وكانت النتيجة التى بلغ اليها ، وأراد لمحاوريه أن يفهموها ، هى أن أفكار الناس مختلفة ، لأنهم لا يفكرون على نحو صحيح ، ولا يرون الدلالة الحقيقية لأفكارهم · ان ما يســـمونه معرفة ليس أكثر من مجرد رأى ، وتترتب جميع شرور الفردية على استخدام الرأى مرشدا للسلوك ، بدلا من المعرفة · انه يعتقد أن الافكار الكاملة واحدة عند جميع الناس · وبعد أن أستقر رأى سقراط على هذه النقطة أخذ فى احصاء الأفكار الكاملة ذات الصلة الوثيقة بالأخلاق كالشجاعة والصداقة

والعدالة ، وبيان العلاقة بينها بحيث تصبح أساسا للنظام الاجتماعى الجديد، ومادة للتربية المناسبة له · لقد أدرك سقراط أنه بدون هذا الشىء العـــام لا يكون النظام الخلقى أو النظام الاجتماعى ممكنا ، ولكنه لم يستطيع أن يضع استنتاجاته فى شكل عملى ، أو يبين طـــريقة تحقيقها فى الحيـــاة الاجتماعية الواقعية ، ويبدو أنه ترك هذه المهمة لتلاميذه من أمثال أفلاطون ·

(ب) محتوى التربية : لم يهدف سقراط فقط الى ايقاظ الاثينيين من سباتهم ، وتعليمهم كيف يفكرون لأنفسهم ، وانما أراد أن يجعلهم مواطنين سعداء ونافعين لأوطانهم · لقد كانت الحياة العملية أكثر جاذبية لسقراط من الحياة النظرية · فالحكمة التى أرادها كانت مجرد وسيلة للحياة الخلقية والاجتماعية السعيدة · ولكى يحقق سقراط تلك الغايات العملية اقترح منهجا عمليا (٦٧) يشتمل على مبادىء القراءة والكتـابة والحســاب ، تحقيقـــا لأغراض عملية ، والتربية الخلقية ، للمحافظة على صلاح الشباب وتقواهم، والفلك والهندسة من أجل تطبيقاتهما العملية ، والتربية البدنية ، للمحافظة على سلامة أجسام المواطنين وعقولهم · ولقد أكد سقراط أيضا على دراسة علم النفس ، ويتضح ذلك من اجابته لأحد تلاميذه ، الذى ســأله عن أول ما ينبغى لطالب الحكمة أن يطلب فقال سقراط (٦٨) : « أما اذا كانت النفس هى معدن الحكمة فأول ما ينبغى للطالب أن يطلب علم النفس » · ولسقراط آراء دقيقة فى التربية البدنية يرويها زينوفون (٦٩) عن سقراط قائلا : « التقى سقراط بشاب يدعى ايبنيز Epignes ، وهو أحد أصدقائه ، فرأى أنه فى حالة بدنية رثة · فقال له : لماذا تتوقف عن التدريب يا ايبنيز ؟ فقـال الشاب : أنا لست رياضيا ،ولست مجبرا على أن أكون فى التدريب · فقال سقراط : حقا انك لست رياضيا ممن يعدون أنفسهم للالعاب الأولمبية ، ولكن ألا تعتقد ··· أن أولئك الأشخاص الذين هم فى حالة بدنية حسنة أقـوياء وأصحاء ؟ وبفضل هذه الحالة يخرجون من المعركة سالمين بدنيا وخلقيا · انهم يسلمون من أخطار الحرب ، وينقذون أصدقائهم ويعاونونهم ، فتكرمهم بلدهم ، وبالتالى ينالون احترام غيرهم ، ويحققون مجدا عظيما ، ويحرزون درجات شرف متميزة · فاليدن مفيد فى جميع الأنشـــطة التى يؤديهـــا الانسان ··· حتى فى تلك الأمور العقلية التى تعتقد أن الجسم قليل الفائدة فيها ··· ان ضعف العقل ، وانخفاض الروح المعنوية ، والجنون أمراض تطرأ على الناس نتيجة لسوء حالاتهم البدنية وتعوقهم عن تحصيل المعرفة ذاتها » · ومن هنا كان تقدير سقراط للاشتغال بالزراعة وغيرها من الأعمال

اليدوية لما لها من أهمية في تقوية الأبدان ، وما يترتب على ذلك من طيبات أخرى · يقول سقراط فيما يرويه زينوفون (٧٠) : « ان الاشتغال بزراعة الأرض هو أشرف المهن جميعا ، فهى مصدر السعادة والسرور : تقوى الجسم ، وتصقل الروح ، وتبعث فى نفوس الأحرار حب العدل والتضامن والاخاء · هذا الى جانب أنها مصدر جميع الثروات وعماد الفنون الأخرى جميعا » ·

(ج) طريقة سقراط ومبادئه التعليمية : كانت طريقة سقراط طريقة فريدة ومتميزة كما كانت شخصيته فريدة ومتميزة · فلقد أجرى أبحاثا ودراسات ولم يحاول الوصول الى أحكام أو استنتاجات · وهو لم يحاضر ، أو ينقل الى تلاميذه حقائق ومعارف ، وانما تحداهم لكى يفكروا لأنفسهم تفكيرا كاملا متسقا · ان خلق روح التعلم عنده من أهم واجبات المعلم ، ومن ثم استهدفت الطريقة السقراطية تبصير التلميذ بجهله ، واكسابه الاتجاه الصحيح نحو التعلم · ويميز رسك Rusk (٧١) فى الطريقة السقراطية بين ثلاث مراحل هى : « المرحلة التي يسميها أفلاطون بالرأى ، وفيها لا يكون المرء قادرا على تقديم أسباب صحيحة لمعرفته ؛ والمرحلة التحليلية ، التى يتم فيها اقناع الشخص بأنه لا يعرف ما ينبغى له معرفته ، الأمر الذى يؤدى الى الشعور بالتناقض أو الحيرة أو الشك ؛ والمرحلة التركيبية ، التى يحصل فيها الانسان على النتائج التى يسميها أفلاطون بالمعرفة · وحينما يصل الانسان الى هذه المعرفة يعيد بناء خبرته على نحو نقدى ، ويستطيع تبرير معارفه ومعتقداته » · ان سقراط لم يقرب الموقف التعليمي وهو على علم باجابات الأسئلة التى يثيرها ، كما يفعل المعلمون التقليديون ، وانما كان يتعلم وهو يعلم · يقول سقراط (٧٢) : « أنا محب للحكمة والناس يعلموننى » · ومن ثم كانت محاوراته تأملات فلسفية ، ومناقشات عقلية ، وأبحاثا منطقية فى قضايا عصره الحيوية · فلقد اختصم الناس في عصره ، وتجادلوا حول معنى العدالة والفضيلة وضبط النفس والخير والشر ، دون التمييز بوضوح بين هذه المصطلحات · وتبدو أهمية الطريقة السقراطية من حقيقة مؤادها أن تلك الفضائل أصبحت هدفا للتربية فى عصره ، فان لم تدرك ادراكا واضحا فلا يمكن تحصيلها ، الأمر الذى دفعه الى توضيح هذه المفاهيم ، ومنع اختلاطها فى أذهان تلاميذه وأبناء وطنه · ان جميع محاورات أفلاطون تكشف عن خصائص الطريقة السقراطية التى تتميز بثلاث المراحل سابقة الذكر ·

ومن المبادىء التعليمية لسقراط حرصه على توطيد أواصر المحبة والود بينه وبين تلاميذه · يقول عبد الرحمن بدوى (٧٣) : « كان سقراط يتعلم وهو يعلم ، وكان الحوار وسيلة له فى آن واحد لكى يعلم نفسه ولكى يتعلم منه الآخرون · وهذا ما يسمونه باسم الاروس عند سقراط أو الحب ، لأن سقراط كان يتصور الصلة بينه وبين تلاميذه ، أو محدثيه على أنها صلة حب بين الجانبين ، مادامت المعرفة لا تتم الا عن طريق اشتراك اثنين معا فى بحثهما عن المعرفة » · ولم يدع سقراط معرفة بكل شىء وانما كان يقرر أنه لا يعرف حينما لا يعرف · ولعل هذا يتضح على أكمل نحو من قوله لشابين أتياه يسألانه عن مشكلات لغـــوية فقال (٧٤) : « لا أعـــرف ، ولكننى أستطيع مساعدتكما فى المعرفة ، انكما صغيران ولابد أن تستخدما عقليكما ، فاذا عرفتما الحقيقة فأخبرانى بها · فقال أصغرهما سوف أفعل يا سقراط » · ويتمثل دور سقراط معلما فى تيسير عملية التعلم ، كما يبين النقل السابق · ويتضح هذا أيضا من قوله لسيبيس وسيمياس فى محاورة « فيدون » (٧٥): « اعتبرانى مساعدا فقط ، اذا كنتما تعتقدان أنه بمساعدتى يكون لكما حظ التخلص من هذا المأزق » · وهذ هو دور المولد العقلى للحقيقة ، ومن مبادئه التعليمية أيضا طول الأناة على المتعلمين واحترام آرائهم (٧٦) ·

(د) **تعليم الأخلاق :** يعتمد بعض الباحثين على محاورة « مينون » فى تبيان موقف سقراط من امكان تعليم الأخلاق ، فيستنتجون أن الأخلاق لا يمكن تعليمها · وهم بذلك يخطئون مرات ثلاثا : فهم يخطئون أولا فى اغفالهم لربط سقراط بين المعرفة والفضيلة ، وقد سبق بيانه ، ويخطئون ثانيا فى اعتمادهم على محاورة ، مينون » التى هى من محاورات النضـــوج ، ولا تعبر الا عن رأى أفلاطون ، ولا صلة لسقراط بها الا من حيث انه ظهر فيها · فلقد اشتملت هذه المحاورة على نظريات عليا فى الوجود والمعرفة والأخلاق لا يمكن أن تنسب الا الى أفلاطون · ولقد أثبت أرسطو بالفعل أن نظرية المثل نظرية أفلاطونية ، ولا تعبر عن آراء سقراط · وتتضمن المحاورة حججا قوية تبرهن على خلود النفس ، فى الوقت الذى كان فيه سقراط قليل التثبت من موضوع الخلود كما يبدو من محاورة « الدفاع » · وهم يخطئون ثالثا فى اختيار النقول التى يستشهدون بها على انكار ســـــقراط لتعليم الأخلاق · انهم يعتمدون على فقرات من محاورات « مينون » ، ويعتب فيهـا أفلاطون على شباب أثينا ، ويلومهم على انصرافهم عن التأمل والتفكير فى

المفاهيم والممارسات الخلقية · يقول أفلاطون (٧٧) : « يبدو أن الحكمة قد رحلت عن أثينا ··· اننى متأكد أنك لو سألت أى أثينى عما اذا كانت الفضيلة فطرية أم مكتسبة ، فانه سوف يبتسم لك ويقول : أيها الغريب ! ان رأيك فى حسن جدا ، ولو كنت ملهما حقا لاستطعت الاجابة عن سؤالك ، ولكننى الآن لا أعرف حقا ماهى الفضيلة ولا أعرف ما اذا كانت مكتسبة · « فاذا تأملنا بداية النقل وآخره ، وبخاصة العبارة « يبدو أن الحكمة قد رحلت عن أثينا » والعبارة « ولكننى الآن لا أعرف » أدركنا خطأ هؤلاء الباحثين ·

ان مشكلة امكان تعليم الفضيلة كانت محلا للنزاع بين الارستقراطيين المحافظين والسوفسطائيين الديمقراطيين ، فلقد اعتقد المحافظون أن الفضيلة وراثية تنتقل عن طريق الدم ولا تكتسب عن طريق التعليم · أما السوفسطائيون فقد اعتقدوا فى امكان تعليم الفضيلة من خلال الطرق العقلية التى يستخدمونها ، ولا أدل على ذلك من النقل التالى · قدم سقراط صديقه هيبوقراط الى بروتاغوراس السوفسطائى قائلا : أنه يريد أن يعرف ماذا يحدث له حينما يصاحبك ، فأجاب بروتاغوراس (٧٨) مخاطبا هيبوقراط : « أيها الشاب ! اذا صاحبتنى ستعود الى بيتك رجلا أفضل مما جئت ، وأفضل فى اليوم الثانى من اليوم السابق عليه ، وأفضل كل يوم منك فى اليوم السابق»· ونظرا لأن سقراط كان من أصل اجتماعى متواضع فقد ناصر وجهة النظر الديمقراطية ، وأيد السوفسطائيين فيما يذهبون اليه من امكان تعليم الفضيلة· فالسلوك فى رأيه لا يوصف بالخيرية ما لم يكن مصحوبا بمعرفة الخير ، فاذا أراد الانسان أن يسلك سلوكا خيرا فيجب أولا أن تكون له معرفة تتعلق بماهية الخير · والمعرفة النظرية ـ كما هو معروف ـ يمكن تعليمها · ومن ثم تكون الفضيلة فى رأى سقراط متعلمة ، بالقدر الذى يعتمد فيه السلوك على هذا النوع من المعرفة · وينقل زينوفون (٧٩) عن سقراط قوله : « ان من يميز ، من بين كل الأعمال الممكنة ، العمل الذى يتلاءم مع مصلحته ، فانه لا يتردد فى الاختيار ، وحينما يعمل الانسان الشر فانه يكون جاهلا بمقدار ما هو آثم » · ومفاد النقل السابق أن الانسان يكون مجبورا فيما وقع فيه بسبب جهله ، ولكنه آثم لأنه كان يستطيع أن يتعلم ·

ويبدو من محاورة « الدفاع » (٨٠) أن جوهر رسالة سقراط يتمثل فى تعليم الأخلاق للاثينيين حيث يقول سقراط : « لو كنت نكرة من الناس لما

رضيت مطمئنا باهمال شئون عيشى اهمالا طوال تلك السنين لأخصص نفسى لكم · فقد جئتكم واحدا فواحدا شأن الوالد أو الأخ الأكبر فأحملكم على الفضيلة حملا » · ولا ينبغى أن يمنع هذا الفهم بحجة أن سقراط كان دائم التصريح بجهله ، فكيف يحمل الأثينيين على تعلم أخلاق معينة ؟ يمكن الاجابة عن هذا الاعتراض بقولنا : ان سقراط يغير من موقفه وطريقته فيما يتعلق بمسائل الأخلاق ،ولا أدل على ذلك من قول زينوفون (٨١) : « ينتقل الفيلسوف من طريقته الصارمة التى يدعى فيها الجهل ، ويقدم لسامعيه مفاهيم صريحة واضحة عن ضبط النفس ، والاعتدال ، والتقوى ، والواجب نحو الوالدين ، والحب الأخوى ، وجميع الفضائل » ·

سادسا: ملاحظات على سقراط :

١ ـ كان الشخص الآخر فى جميع المحاورات السقراطية صاحب الأفكار محل المناقشة ، وكانت آراؤه موضع النقد ، ولم يقدم سقراط فكرة أو قضية أو تقريرا · وكان سقراط فى هذا متسقا مع موقفه ، الذى يدعى فيه الجهل · ولكنه كان يدعى أيضا أنه يطلب الحقيقة من خلال دراسته لآراء الآخرين · والسؤال الخطير هو كيف يعرف سقراط الحقيقة ان وجدها ؟ وكبير الظن أن عبد الرحمن بدوى (٨٢) أراد هذا المعنى حينما كتب : « اذا كان المبدأ عند سقراط فى ادراك الأشياء هو أن تكون ماهيتها متفقة مع ماهى عليه فى الواقع ، فيجب أن يقاس العلم على هذا الأساس ـ أى يجب أن يكون العلم الحقيقى هو العلم بأن الانسان يعلم بأن الماهيات هى كذا أو كذا ، أعنى أن معرفة الماهيات تستلزم قبل هذا أنه يعرف هذه الماهيات معرفة حقيقية » · وهو ما يدعى سقراط عكسه ، وبالتالى يتناقض مع نفسه ·

٢ ـ وحد سقراط بين المعرفة والأخلاق فقال ان الخير هو الفضيلة والفضيلة هى المعرفة ، فمن عرف كان خيرا ومن جهل كان شريرا · ومعنى هذا أنه يوحد بين المعرفة النظرية والأخلاق · ولكن الأخلاق ميدان عملى ، والأمور العملية تعلم عن طريق الممارسة · فكما أن المعرفة النظرية عن كيفية ركوب الدراجة لا تغنى عن ركوب الدراجة ، فانه لا يكفى أن يقرأ الانسان كتابا أو يستمع الى محاضرة لكى يسلك سلوكا خلقيا · ان هناك نوعين من التعليم : تعلم المبادىء وتعلم السلوك وهما ضروريان فى تعلم الأمور العملية · ومشكلة سقراط هى افتراضه أن تعلم الأخلاق ينتمى الى النوع

الأول فقط · ان خطأه يتمثل فى اعتقاده فى كفـــاية المعـــرفة النظرية فى تعليم الأخلاق ·

٣ ــ قرر سقراط أن السعادة هى الخير الأقصى الذى يناسب الانسان بحكم طبيعته ، وأن مايكون خيرا هو الرغبة الحقة · وتتمثل الرغبة الحقة فيما يجب أن نرغب فيه بحكم طبيعتنا · ان ما نحتاج اليه بحكم الطبيعة لا يكون حاجات خاطئة لأننا لا نحتاج ما يزيد على حاجاتنا الطبيعية ، ومن ثم كان سقراط موفقا فى ربطه بين الخير والسعادة · وقول سقراط بـأن السعادة هى الخير الاقصى أعفاه من الأخطاء التى وقع فيها أصحاب المذاهب الخلقية الأخرى القائلة باللذة ، لأن قولهم ان الخير الوحيد هو اللذةمعناه أن الثروة والصحة والمعرفة والحكمة ليست خيرا ، ولكن ســـقراط يقول بالسعادة والسعادة ليست خيرا بين خيور وانما هى الخير الكامل أو مجموع الخيور ، فهى لا تترك شيئا وراءها يمكن أن نرغب فيه ·

٤ ــ أعانت الطريقة السقراطية على تنمية التفكير النقدى فى المجتمع الأثينى ، ويمكن أن تحدث نفس الأثر فى مدارسنا وجامعاتنا · فسقراط لم يقدم لمعاصريه طائفة من المعلومات أو الحقائق عن التفكير النقدى ، وانما أثار حماسهم لقبول المناقشات النقدية وتقديمها · انه حرص عـلى انتهاز المناسبات التى تشعر الناس أنه واياهم فى موقف يوجـــب عليهم التماس الشواهد على صحة ما يذهبون اليه · وتنمية التفكير النقدى عند تلاميذنا توجب خلق مواقف تعليمية مشكلة لا يعرف التلاميذ أو المعلمون اجابات لها، ويسلكون فى حلها مسلك سقراط وتلاميذه ، فالمعلمون الذين لا يستطيعون ارباك تلاميذهم يفشلون فى تنميتهم عقليا · ان هـــذه الطريقة السقراطية صالحة جدا فى تدريس العلوم الانسانية ولكنها غير صـــالحة فى تدريس العلوم الطبيعية التى تعتمد على المشاهدة والتجربة ·

٥ ــ لم يكن تعليق سقراط على الديمقراطية الأثينين عادلا فى مجمله · فلم يكن حكام المدنية هم الذين ينتخبون بالقـــرعة ، وانما الموظفون الذين يقومون بأعمال روتينية ، لا تحتاج الا الى القليل من اللباقة وحسن التصرف· وكان على الحاكم أن يجتاز اختبارات أولية تبين صلاحيته لتولى المنصب · وبالرغم من شكلية هذه الاختبارات فقد كانت تتيح لأعدائه أن يكشفوا عن ماضيه · وفى نهاية ولايته ــ ومدتها عام ــ يتعرض الحاكم لاختبار تفحص

فيه اعماله فالديمقراطية الأثينية كانت نظاما محكما يعبر عن ارادة الشعب ، وله من الضوابط ما يحول بينه وبين الانحراف (٨٣) ٠

٦ ـ أن قصر سقراط لدور المعلم على تسهيل عمليات التعلم موافق للاتجاهات التربوية الحديثة ، فقد قرر كومز Combs (٨٤) : « أن المفهوم الحديث للتدريس يعتبر دور المعلم تسهيلا لعملية التعلم ٠ لأنه يؤكد وظائف المعلم باعتباره مساعدا ومرشدا وممثلا حانيا للمجتمع ٠ والمعلمون وفقا لهذا المفهوم ليسوا مضطرين لمعرفة جميع الاجابات ، ولكن يجب أن يعرفوا كيف يسهلون ويشجعون عمليات التعلم » ٠

هوامش الدراســـة

1. Xenophon, The Works of Xenophon (Edited and Translated by H. Dakyns), London : The Macmillan, 1897.

٢ ـ أفلاطون : محاورات أفلاطون : أوطيفرون ـ الدفاع ـ أقريطون ـ فيدون (ترجمة زكى نجيب محمود) مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٣٧ ٠

3. Aristole, Metaphysics (Translated by H. Trednnick) Vol., 2, Cambridge, Mass. : Harvard Univ. Press, 1935.

4. Aristophanes, The Clouds (Translated by B.B. Rogers) Cambridge, Mass. : Loeb Classical Liberary, 1924.

5. Russell, B., A History of Western Philosophy, New York : Simon and Schuster, 1945.

٦ ـ أندريه كرسون : المشكلة الأخلاقية والفلاسفة (ترجمة عبد الحليم محمود وأبو بكر ذكرى) ط ٢ ، دار الكتب الحديثة ، ١٩٤٦ ٠

7. Burnet, J., Greek Philosophy : Thales to Plato, London, The Macmillan, 1914.

8. Taylor, A., Socrates, London : The Macmillan, 1935.

٩ ـ أفلاطون : محاورات أفلاطون (ترجمة زكى نجيب محمود) ، مرجع سابق ٠

١٠ ـ أفلاطون : فيدون وكتاب التفاحة المنسوب لسقراط ، (ترجمة وتعليق وتحقيق على سامى النشار وعباس الشربينى) دار المعـــارف ، ١٩٧٤ ، ص ٦٥ ٠

١١ ـ عبد الرحمن بدوى : أفلاطون ، ط ٣ ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٥٤ ، ص ٢٤ ٠

12. Cooper, J. "Socrates" in The Encyclopedia Americana, 1980, p. 165.

13. Quoted in Rusk, R. The Doctorines of the Great Educators, London : The Macmillan, 1962, pp. 2-3.

14. Plato, The Symposium (Translated by W. Hamilton), New York : Penguin Books, 1951, p. 108.

15. Ibid., p. 110.

16. Ibid., p. 108.

17. Ibid., pp. 108-109.

18. Eby, F., & Arrowood, C., The History and Philosophy of Education : Ancient and Medieval, New York : Prentice-Hall, 1940, pp. 321-322.

19. Plato, The Symposium, op. cit., p. 101.

20. Ibid., p. 103.

٢١ ـ أفلاطون : محاورات افلاطون (ترجمـــة زكى نجيب محمود) ، مرجع سابق ٠

٢٢ ـ نفس المصدر ، ص ١٤٠ ٠

23. Webster, H., Ancient History, New York : D.C. Heath & Co., 1913, p. 165.

24. Plato, Protagoras, (Translated by B. Jowett) in The Dialogues of Plats, 3rd ed., London : Oxford Univ. Press, 1892, No. 325-326.

25. Wilds, E. & Lottich, K., The Foundations of Modern Education, (third ed.), Holt, 1966, pp. 67-68.

26. Meyer, A., Grandmasters of Educational Though, Mc Graw-Hill, 1975, pp. 1-2.

٢٧ ـ لطفى عبد الوهاب يحيى : الديمقراطية الأثينية : دراسة فى حضارة اليونان ، مركز التعاون الجامعى ، ١٩٦٧ ، ص ١٢ ٠

28. Compers, T., Greek Thinkers, Vol. I, New York : Chorles Scribner's, 1921, pp. 382-383.

29. Wilds, E. & Lottich, K., op. cit., p. 71.

30. Aristophanes, The clouds, op. cit.,

31. Quoted in Hamilton, E., The Greek way to Western Civilization, New York : Mentor Book, 1948, p. 49.

32. Ibid., pp. 49-50.

33. Aristotle, The Politics of Aristotle (edited and Translated by E. Barker), New York : Oxford Univ. Press, 1976, Book VIII, Chop., VI, No. 15.

34. Plato, Plato's Republic (Translated by G. Grube), U.S.A. : Hackett Publishing Co., 1974, Book, I, No. 231e.

35. Allen, R. & Furley, D., (eds.) Studies in Presocratic Philosophy, 2 Vols, London : Routledge and Kegan Paul, 1970, 1975.

36. Encyclopedia Britannica, Vol. 16, Chicago : William Benton, Publisher, 1973, p. 1001.

37. Xenophon, The Memorabilia of Socrates, in The Works of Xenophon, op. cit., Vol. III, Book, V.

٣٨ ـ أفلاطون : محاورات أفلاطـــون (ترجمة زكى نجيب محمـــود) مرجع سابق ، ص ص ٧٠ ـ ٧١ ٠

39. Encyclopedia Britannica, Vol. 16, op. cit., pp. 1003-1004.

٤٠ ـ أفلاطون : فيدون وكتاب التفاحة المنسوب لسقراط ، مرجـع سابق ، ص ص ٦٥ ـ ٦٧ ٠

41. Eby, F. & Arrowood, C., The History and Philosophy of Education, op. cit., pp. 316-317.

٤٢ ـ أفلاطون : محاورة جورجياس (ترجمة حسن ظاظا) ، الهيئة المصرية العامة ، ١٩٧٠ ، ص ٤٠ .

43. Osborn, E., Our Debt to Greece and Rome, London : Hodder and Stoughton, 1924, p. 60.

44. Plato, Meno, in the Dialogues of Plato, op. cit., No. 92.

45. Aristotle, The Ethics of Aristotle, (Translated by J.A. Thomson), Penguin Books, 1953, Book, 6, Chap., 13.

46. Plato, The Symposium, op. cit., No. 217c.

47. Aristotle, Metaphysics, op. cit., No. 1078.

٤٨ ـ عبد الرحمن بدوى : أفلاطون ، مرجع سابق ، صص ٣٦ ـ ٣٧ .

٤٩ ـ أفلاطون : محاورات أفلاطون (ترجمة زكى نجيب محمود) ، مرجع سابق ، ص ص ٢٥ ـ ٢٦ .

٥٠ ـ نفس المرجع ، ص ٢٨ .

٥١ ـ نفس المرجع ونفس الصفحة .

52. Webb, C., A History of Philosophy, London : Oxford Univ. Press,, 1944, pp. 28, 30.

53. Aristotle, Metaphysics, op. cit., No. 1078.

٥٤ ـ أندريه كرسون : المشكلة الأخلاقية والفلاسفة ، مرجع سابق ، ص ص ٣٥ ـ ٣٦ .

55. Paulsen, F., A System of Ethics (Translated from German by F. Thilly) New York : Scribner's 1899, p. 34.

٥٦ ـ نقلا عن أندريه كرسون ، المشكلة الأخلاقية والفلاسفة ، مرجع سابق، ص ص ٤٢ ـ ٤٣ ٠

57. Plato, Protagoras, op. cit., No. 358bd.

58. Ibid., No. 182.

٥٩ ـ أبو بكر ذكرى : تاريخ النظريات الأخلاقية وتطبيقاتها العملية ، ط ٣ ، مكتبة الكليات الأزهرية ، ١٩٥٨ ، ص ١٤ ٠

٦٠ ـ أفلاطون : محاورات أفلاطون (ترجمة زكى نجيب محمود) ، مرجع سابق ، ص ٩٦ ٠

61. Xenophon, The Memorabilia, op. cit., Book, I, Chapt., 2, Par., 9.

62. Ibid., Book, 3, chapt. 7, Par. 6.

63. Plato, Protagoras, op. cit., No. 319b-323a.

٦٤ ـ أفلاطون ، محاورات أفلاطون (ترجمة زكى نجيب محمود) ، مرجع سابق ، ص ص ١٢٧ ـ ١٣٩ ٠

٦٥ ـ أنظر محاورتى « أوطيفرون » و « الدفاع » فى نفس المرجع السابق٠

66. Frost, S., The Basic Teachings of the Great Philosophers, Philadelphia : The New Home Library, 1945, p. 236

67. Eby, F., & Arrowood, C. The History and Philosophy of Education, op. cit., p. 324; Meyer, A., Grandmasters of Educational Thought, op. cit., p. 10.

٦٨ ـ أفلاطون : فيدون وكتاب التفاحة المنسوب لسقراط ، مرجع سابق ، ص ٢٢٤ ٠

69. Quoted in Payne, J., Translation from Xenophon's Memorabilia : Lectures on the History of Education, Vol. 3, London : Longmans, 1892, pp. 275 - 276.

٧٠ - نقلا عن على عبد الواحد وافى : الأدب اليونانى القديم ودلالته على عقائد اليونان ونظامهم الاجتماعى ، دار نهضة مصر ، ١٩٧٩ ، ص ص ٢٦ - ٢٧ .

71. Rusk, R., The Doctorines of the Great Educators, op. cit., p. 5.

72. Quoted in Hamilton, E., The Greek Way to Western Civilization, op. cit., p. 64.

٧٣ - عبد الرحمن بدوى : أفلاطون ، مرجع سابق ، ص ٣٩ .

74. Quoted in Hamilton, E. The Greek Way to Western Civilization, op. cit., p. 67.

٧٥ - أفلاطون : فيدون وكتاب التفاحة المنسوب لسقراط ، مرجع سابق ، ص ٥٢ .

76. Osborn, E., Our Debt to Greece and Rome, op. cit., p. 69.

77. Plato, Meno, op. cit., No. 11, 12.

78. Plato, Protagoras, op. cit., No. 318b.

٧٩ - نقلا عن أندريه كرسون : المشكلة الأخلاقية والفلاسفة ، مرجع سابق ، ص ٤٤ .

٨٠ - أفلاطون : محاورات أفلاطون (ترجمة زكى نجيب محمود) ، مرجع سابق ، ص ٩٤ .

81. Quoted in Ellis, E., & Horne, C., The Story of the Greatest Nations, Vol. 1, New York : F.R. Niglutsch, 1906, p. 176.

٨٢ - عبد الرحمن بدوى : أفلاطون ، مرجع سابق ، ص ٣١ .

٨٣ - أ٠هـ٠م٠ جونز : الديمقراطية الأثينية (ترجمة عبد المحسن الخشاب)، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٦ ، ص ٧٦ .

٨٤ - أرثر كومنز: خرافات فى التربية : المعتقدات التى تعوق التقدم وبدائلها ، (ترجمة عبد المجيد عبد التواب شيحة) ، عالم الكتب ، ١٩٩٠ ، ص ١٢٣ - (تحت الطبع) .